أوراق من دفتر الوردة

. ممدوح السكاف .

شهيٌّ رغيفُ النّار

الشَّبكةُ هي الطفولة،
القمحُ السِّريُّ خُبزُ الحياة.
الأنثى في اللَّيل تَكتشفُ زوبعةً
في جسدها كانت خامدةً
تَقْدَحُ شرارتها في لُجَّة ازدحامِ الكآبات
بصوَّان كفّها.
الشمعُ يذوبُ داخلَ القُبَّة
يَسْطَعُ بالنور.
تَنْحَني عليه كأنَّها تراه أوّل مَرَّة.
تُدقِّقُ في تُويجات الندى
بشَغَفٍ على المرآة، تَنْتَهِمُه بحواسها:
ـ إنَّهُ رغيفي، آكلُه بنفسي، ما أشهاه!

هنا رَمْيَةُ السَّهم

ترمي للرّيح أصابعكَ؛ تَتَلقَّفُكَ بندقيةٌ.
أنتَ والسَّهم شريكان.
قَمرٌ يَرى نجمةً تُطْفِئُ مِصْباحَها
لِتَسْتَمْتِعَ وحيدةً بهطول الرَّحيق
في وَرْدَتِها
يرتعشُ ضَوْؤُها ـ يَشْتَدُّ وَجيبُه في ليل الحُلم.
أصْغِ إلى حَفيف الماءِ يَنْبعُ كالنَّمْلِ في أسفلِ جذعكَ،
انجُ بنَفْسِكَ،
خلاصُكَ في مَوْتٍ مُجَرَّب.
ها إنّ عاصفة الموج قادمةٌ على عكاكيز.

امرأة عالية في اللَّيل

حَلِّقي إلى السماء
على عَرْشِ نجمةٍ تَرَبَّعي.
جَسَدُكِ من عطور النُّور،
يهبُّ، فَيَطْغَى، فيُغري.
فوق الذّروةِ أنتِ في الأعْلى،
تُطلِّين على عُشّاقِكِ المساكين بقطّارة المواعيد،
ينتظرون دَوْرَهم يأتي مَهيضًا في لقاءِ النَّار مع الريح.
لا وَقْتَ فارغًا، عندكِ، لُمحبٍّ صميم
يَرْنو إلى لوثَة العرش، يَسْقط في نُشورِ الموت.
ما أجملَ الأرض
نمشي عليها، نأكلُ من رِزْقِها، نعيش!

طقوس الوعاء الذَّهبيّ

لأسمعَ جسدي في صَوْتِكِ النّبيذيِّ
القادمِ إليَّ عَبْرَ أثيرٍ شَفَّاف،
لا بدَّ من طُقوسٍ واحتفالات.
البابُ يُوصَدُ بإحكام الطوفانِ على زنزانة الغَرَق،
السَّتائرُ تُسْدَلُ إلى الرُّخام،
الضوءُ يُطْفَأ،
الموسيقى، التِّلفزة، دقّات السّاعة الجداريّة تُوقَف.
إلاّ إيقادُ عِيدانِ البُخور،
نَهَمُ التّدخين، ارتشافُ القهوة،
توهُّجُ الرُّؤيا في وعائيَ الذَّهبيِّ حَتّى الثُّمالة.
إلاّ أنتِ تنهمرينِ بِفَحيح النَّار.
إلاّ أنا أنْدَلِعُ بصهيلِ الحرائق.
إلاّ في لحظةٍ واحدة،
نَشْهَقُ، ننسكبُ، نموتُ معًا.

على ضفَّة السَّرير

حُريةُ الحُرية تَحدِّي العُبودية.
كنتِ سرابًا مُدْلَهِمًا في ظلامه.
الآن ماءُ النّور
أُسْلِسُ على جَسَدي جَسَدَكِ،
تستيقظ الخلايا من صقيعها
للزِّفاف تتأهَّب
على أرضٍ من اليَرَقات تَنْبضُ بجُموحِ الرَّغبة
تُحطِّمُ الأغلالَ كالمرايا وتصعدُ إلى سماءٍ حمراء.
الكلمةُ عنوانٌ وطابعُ بريد.
الرَّنين لقاءٌ على الهواء.
خَفْقاتُ أنْفاسكِ على الوردة تُومِئُ بأريجها للموت،
دَفُوقًا يأتيكِ
كزمهرير النّار يَعْصِفُ بأحزانكِ من بَرْدِ اللَّهب.
على ضِفَّةِ السَّرير

أبْدعْتِ
ها أنت تَسْتَحمِّينَ في قصيدة الرّعشة.

في ملكوت الرُّؤيا

الجمرُ هناك يتوهَّج. امرأةٌ من بَوْح الرُّوح وعِطْرِ الصَّنْدَل
في الرؤيا تفيءُ عليكَ بِظلالِها،
اللَّهبُ يفيضُ منتصباً كالأفاعي،
اسْتَسْلِمْ،
اخْضَعْ،
بَعْدَ لحظاتٍ أنتَ داخلٌ مَلكُوتَ الفَنَاء.
فَوْقَ تُخومِ الضَّبابِ أَنْتَظِرُ قُدومَها
شجرةً
تهوي إلى حضنكَ مُنَدَّاةً بغُبارِ الطَّلْع
تُوارِيكَ في فردوسِ الجَحيم.
آه.. ما أجملَ الحديقةَ في المساء.
بخورُها المتفاوحُ يقتربُ إليكَ.
فمُ البِنَّمكة تَنْفَرِج شفتاه عن عطرٍ
خاصٍ تنْقطُ صريعَ ضحكته
إنِّي يرّاعة العَبير
تدلجُ على السَّفح مُحْتَضراً، تَحْلُم.
بَعدَ الخَيْبَة تَرْتَدُّ إلى كُوخكَ حافياً من البَرْق.
في ثَلْج ليلكَ الجَسَديِّ
تَتَلَهَّف لطيْفِ التُّفاحة
من دون لَمْسِها، اسْتِيَافِها،
احتوائها في كَفِّكَ.
برحيق الحزن يسيلُ النّدى
على رُوحكِ البَتُول.
كم أَنْتَ مُتَقَشِّفٌ،
إلى الأدنى تَنْحَدِرُ في طُموحكَ.
جَسَدُها واعدُكَ بزيارةٍ في صَوْمَعَةِ وَحْشَتكَ
أيُّها الواهمُ تَنْتَظِرُ السَّرَابَ،
العنقاءُ مُستحيلُ المستحيلات.
غالباً ما أتأمَّلُ نَفْسي عند الصباحِ في المرآة
أُشاهِدُ أطلالاً وخرائب.
أُسارِعُ إلى وَجْهي
أُغَطِّيه بكَفَّيَّ الباكيَيْن
أتحسَّسُ قصيدةَ مَوْتي،
أَدْخُلُ كهفَ الانتظار.

غزالة تَنْهَمِرُ في الرِّيح

الشّمسُ غَرَّدَتْ للصَّباح
تمارينُ جَسَديَّة تَنْتَظِرُكِ.
أنت واعَدْتِ قَمَرَكِ
تَلْتَقِيان مع الهواء
على حزَّيْ بُرْتُقالة تَخْتَلِج،
وفَتيلِ قِنْديلٍ يَشْرَئِبُّ.
تَهْلَكان مَعًا في لحظةٍ واحدة
برعشةِ الكلامِ بَيْضاءَ.

عندما تَلُفُّ وَحْدتها

من أَزْهارِ جَسَدِها
تُوقِظُ بُرْعُمَه،
في ظلام الحواس
يَتَأَهَّبُ للرَّحيق.
يَنْهَمران معًا
بِشَهْقَةٍ عارِمَةٍ من نُور.

تجلِّيات وردة الصَّهيل

أيَّتُها المُهْرَة،
رَعيلٌ من الطَّاعنين في حِرْمانِهم
يَحْلُمُ بالهُطُول
على فَحيْحِكِ.
اصْهَلِي في براري أَجْسادِهم
بعَطَشِ المَوْتِ للموتِ
يَرْتَوِي.
مع الأَسْلاكِ كم انْسابَتْ قَطَراتُ النَّدى
على تُفّاحَةِ القصيدة
ودَوْرَقِ الشِّعْر.

فرح ما بعد الموت

كَتَبْتُ عَنْ أَلْعابٍ تَسْهَرينَ معها
في لَيْلِ جَسَدِكِ الجديد،
تحوُّلاته تَذْهَبُ إلى النَّبع،
الوردةُ تَنْهَلُّ بالأريج
في زَمْهَرير النَّار
تَصْعَدُ إلى أعالي الحَشْرجة.
اغْرَقِي الآن في نَوْمٍ بلا أحلام،
أنتِ رمادٌ بعد انسكاب اللَّهب.

حمص